المحاضرة الثالثة : **الأمثال والحكم في الأدب العربي القديم**

الأمثال: هي العبارة الفنية السائرة الموجزة التي تُصاغُ لتصوير موقع أو موقف أو حادثة ،وللمثل مورد ومضرب.

أما المورد فهو القصة أو الحادثة التي أطلق فيها لأول مرّة.

أما المضرب فهو الحال الذي نستخدمه فيه لمشابهته لقصة المثل.

الحكمة: هي قول موجز موافق للحق، يصلح قانونا من قوانين الحياة وهو ثمرة الحُنْكَة ونتيجة الخبرة، وخلاصة التجربة.

نشأة وتطور الأمثال والحكم:

من المعلوم لدى الجميع أن نشأة الأمثال العربية نشأت في العصر الجاهلي وتطورت ولا يمكن تحديدها بالسنة لأن المعلومات عنها وجدت مكتوبة كالخطابة، بما أن الكتابة ما كانت رائجة في ذلك العصر كيومنا هذا وعدم وجود التدوين،فتناقلها الأجيال شفاهية إلى أن ظهرت الكتابة ومن ثَّم سارع العرب إلى تدوينها منذ أواسط القرن الأول للهجرة ،إذ ألف فيها "صُحَار العَبْدي" في أيام معاوية بن أبي سفيان (41- 360) كتابًا ،كما ألف فيها "عُبَيْد بن شَرِيَّةَ" معاصره كتابًا آخر.[1] ويقول صاحب الفهرست إنه رآه في نحو خمسين ورقة. وبعد ذلك في القرن الثاني الهجري كثر تأليف الأمثال بكثرة. وأُلفَ فيه كتاب (أمثال العرب) للمفضل الضبي. وازدهرت الكتابة والتأليف في القرن الثالث الهجري منه كتاب (فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام) قام بشرحه أبو عبيد البكري. وما تزال المؤلفات في الأمثال تتوالى حتى يؤلف (جمع الأمثال) لأبو هلال العسكري ويخلفه الميداني في كتابه (مَجْمَعُ الأمثال) وهو يقول في مقدمته إنه رجع فيه إلى ما يربو على خمسين كتابا.[2]

أما عن تاريخ الأمثال أن طائفة كبيرة مما روته الكتب السالفة يتحتم أن تكون جاهلية، وخاصة ما رواه "عُبيد ابن شَرِيَّة " إذ لم يحاولوا من جاءوا بعده ان يفردوا الأمثال الجاهلية والإسلامية. وبذلك أصبح من الصعب تمييز جاهليها من إسلاميها في كثير من الأحيان. ومع ذلك

---

[1]- فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن للنشر الرياض، السعودية ط1، 1420هـ/ 1999م ص 21.

[2]- شوقي ضيف- العصر الجاهلي ص404.

يورد أصحاب هذه الكتب مع ما يرونه من الأمثال إشارات تدل على جاهليتها وقدمها وهي تتخذ طريقين عندهم: فالطريق الأول أن يسوقوا مع المثل قصة جاهلية تفسره. مثل "جزاء سنمَار". وأما الطريق الثاني فهو أن ينسبوا المثل إلى الجاهليين. فحينئذ يتعين زمنه وتاريخهُ. وهناك كثيرون اشتهروا فيهم بالحكمة والأمثال السائرة، ومن يُغْرق في القدَم مثل: " لقمان عاد" من قبيلة يمنية التي كانت تنزل في الأحقاف والتي بَادَتْ ولم تبقى منها باقية في الجاهلية وقد ظل اسم "لقمان" يدور علي ألسنة شعرائهم. وجمع أمثاله "هِلَر" في كتاب سماه "أمثال لقمان".[3]

وقد أشتهر في الجاهلية بينهم كثيرون بهذا اللون من الأمثال وما يتصل بها من حكم، ويقول الجاحظ :"ومن الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء أكثم بن صَيْفِي[4] وربيعة بن حُذار وهرم بن قطبة وعامر بن الظَّرب العدواني ولبيدين ربيعة" ومن أمثال أكثم الصيفي نجد "رب عجلة تهب ريثا". "وأسوأ الآداب سرعة العقاب". "ربَّ كلام ليس فيه إكتتام". "إذا بالغت في النصيحة هجمت بك على الفضيحة". "لا تطمع في كل ما تسمع".[5]

أما الحكمة استمد الفرد العربي الجاهلي الحكمة من الحياة اليومية ومن التفكير الفطري، لأن حياتهم تمتاز برجاحة العقل وعمق النظر. وطبعت الحياة القبلية بطابعها على الحكمة الجاهلية. فنجد العشيرة تشترك في الجزيرة والواجب على العربي الوقوف بالصلابة بجانب أخيه العربي، والدعوة إلى الشجاعة وحفظ العرض والجود والتمسك بأهداف الصدق.

ولا شك أن العصر الجاهلي كان أكثر العصور الأدبية إنتاجا للأمثال و الحكم ،ويتجلى ذلك واضحا بالرجوع إلى كتب الأمثال و الحكم الكثيرة ،خاصة المؤلفة في العصر العباسي.

كما أشتهر هذا العصر بأسماء لأعلام ضرب بهم المثل كل حسبما عرف به ،وكمثال على ذلك: (أبلغ من قس).(أحكم من لقمان).(أوفى من السموأل) .(أجود من حاتم) .(أعدى من الشنفرى). (رجع بخفي حنين).(أطمع من أشعب).(مواعيد عرقوب).

وفي صدر الإسلام أتى القرآن الكريم هدى ورحمة للعالمين ،فكان جامعًا كل المبادئ والقيم السامية وفتح الإسلام الحنيف الآفاق لنمو الحكمة الجاهلية الداعية إلى المودة

---

[3]- شوقي ضيف، العصر الجاهلي. ص404- 405.

[4]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 365.

[5]- شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص 407.

والتآلف والكرم والشجاعة. والقرآن يشيد بالحكمة فقوله تعالى" ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر الله. ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد".[6]وكذلك في قوله(يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب)سورة البقرة:الآية 269

ولقد جاء في أمثال القرآن الكريم واضحة أغلبها فيها المشبه صراحة إلى جانب المشبه به ،قال تعالى:(ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء)سورة إبراهيم:الآية24.وقوله أيضا:(مثل الذي اتخذوا من الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن اوهن البيوت لبيت العنكبوت ولو كانوا يعلمون)سورة العنكبوت:الآية41

والرسول -صلى الله عليه وسلم- يدعو إلى تعلم الحكمة من أفواه الناس لأنها تمرة التجربة الإنسانية المتجددة المتغيرة فقال: "الحكمة ضالة المؤمن"."إن من الشعر حكمة ،وإن من البيان سحرا"،ومن حكمه وأمثاله: "المؤمن مرآة المؤمن"،لا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى"،"ليلدغ المؤمن من جحر مرتين"،"دع ما يريبك إلى ما لا يريبك"،"من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"

ومن المصادر الأخرى للمثل والحكمة في صدر الإسلام، ما جاء على لسان الخلفاء والصحابة والعلماء والصالحين ومنها:

أبو بكر الصديق-رضي الله عنه-إن البلاء موكل بالمنطق،و قول عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-" خذو الحكمة من أفواه المجانين" ،وكذلك الإمام علي- كرم الله وجهه- الذي كان يتمتع بالحكمة ومن حكمه نجد: "القناعة مال لا يُنْفَدُ". "العفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى". " الصبر صبران. صبر على ما تكره وصبر على ما تحبه". "كل وعاء يضيقُ بما جُعِل فيه إلاّ وعاء العلم فإنه يتسع". "لا غنى كالعقل ولا فقر كالجهل ولا ميراث كالأدب ولا ظهير كالمشاورة".

ويظل المفهوم الإسلامي للحكمة سائدًا في العصر الأموي الذي حاول العرب فيه الاحتفاظ بعروبتهم والابقاء على تراثهم الحضاري. فالحكمة عندهم تظل مرتبطة بالعلم لكنها أخذت تتطلع إلى الفلسفة اليونانية بتحفظ. فالحكمة في العصر الأموي وثيقة الصلة بالعلم. ولكن دائرة العلم تتسع هنا نظرًا لاتجاه الأمويين إلى الترجمة عن اليونانية فتتسع تبعًا لدائرة الحكمة.غير أنه لم يبتعد كثيرا عن الأمثال الجاهلية والإسلامية بصبغة دينية، ولعله كان لحكماء هذا العصر دور إيجاد حكم وأمثال مثل معاوية

---

[6]- سورة لقمان الآية 12.

بن سفيان ،وعمر بن عبد العزيز ،وإبراهيم بن يزيد النخعي والحسن البصري[7].

ومن أمثال وحكم عمر عبد العزيز :(آفة الرئاسة الفخر).(لاينفع القلب إلا ما خرج من القلب).(من عد كلامه من عمله قل كلامه).(أصلحوا سرائركم تصلح لكم علانيتكم).(أصلحوا آخرتكم تصلح لكم دنياكم).

كما نجد الحسن البصري في حكمته الوعظية: (من عرف ربه أحبه،ومن عرف الدنيا زهد فيها).(عظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك).(إن النفس أمارة بالسوء فإذا عصتك في الطاعة ،فاعصها أنت بالمعصية).

وأيضا نجد معاوية بن أبي سفيان له أمثال وحكم مثل:(الغريب لمن لا أدب له).

وفي العصر العباسي ازدهرت حركة النقل والترجمة عن الثقافات الهندية والفارسية واليونانية، وقد نشط العرب نشاطًا ظاهرًا بعد احتكاكهم بغيرهم من الأمم ذات الحضارات الراسخة في نقل تراث الحضارات القديمة للاستفادة منها.

وقد شهد العصر العباسي انتشارا للمعارف والعلوم والتأليف وانعكست على الحياة الأدبية وفنون النثر خاصة،فكان للمدينة والحياة الجديدة أثر بالغ في الحكمة المبنية على الخبرة والمعرفة،ولقد اصطبغت بصبغة المدينة الجديدة،وانطلقت قوية المبنى في قسم كبير منها،وقد كانت ثمرة الخبرة والمعرفة،ثمرة العقل الاختياري،والعقل التفكيري،ولهذا كانت الحكمة العباسية شديدة التأثير و شديدة الانطلاق و الانتشار ولهذا كان لها قيمة إنسانية قحة،وكانت الكنز الذي اغترف منه الناس على ممر العصور[8]

وغدا إنتاج الأمثال والحكم في العصر العباسي أمرا ميسورا عند العرب والفرس والمولدين،وجمعها وتدوينها متاحا لمن اجتهد فيها،وقد ألفوا فيها الكتب،ومن أشهرها "مجمع الأمثال" للميداني في نحو خمسين كتابا مرتب على حروف المعجم ،بعد أضاف إليه أمثال المولدين،و"المستقصي في الأمثال" للزمخشري.

ومن أمثال هذا العصر:(عند الامتحان يكرم المرء أو يهان).(ماأقبح الخضوع عند الحاجة،والتكبر عند الاستغناء).(معالجة الموجود خير من انتظار المفقود).(من عَير عُير).(الخنفساء في عين أمها راشية).(الجنون فنون).(عذره أشد من ذنبه).[9]

الأمثال والحكم في العصر الأندلسي:

---

[7]الميداني .مجمع الأمثال ج 1 ص12-13

[8]حنا الفاخوري،الحكم والأمثال.دار المعارف.مصر.ط.4.1980،ص63

[9]الثعالبي،التمثيل والمحاضرة.تحقيق :عبد الفتاح محمد الحلو،الدار العربية للكتاب ط،2.1981"ص.44.45

لقد تأثرت الأمثال والحكمة في العصر الأندلسي بما كان يجلو في الأدب العباسي "فقد كان صدى لحكمة بني العباس كما كان الأمر في أدب الأندلسي،وذلك أن عهد الانحطاط في الأدب في عهد انهيار فكري وفني،فكان الأديب فيه شديد التلفت إلى من سبقه شديد التقليد والزخرفة اللفظية والبديعية،شديد التلهي بالقشور والظواهر الفنية،وكذلك كان الأديب الأندلسي صادقا في التعمق في التحليل،والانفلات في أجواء الفكر،صادقا عن التغلغل في الأغوار،يهمه أن يقلد الأديب العباسي ،وإن يلوك أفكاره،ويردد بعض حكمه من غير ما ابتكار ولا تجديد "[10]

ويرجع هذا الترابط الوثيق بين الأدبين العباسي والأندلسي خاصة الأمثال والحكم إلى طبيعة المرحلة التاريخية من جهة،وإلى كتب الأمثال والحكم العباسية التي دخلت الأندلس من جهة أخرى،وغدت مرجعا في مجال اختصاصها ،وهي الكتب التي رصدها ابن خير الاشبيلي في فهرسته والتي تداولت في الأندلس وتم دراستها والاستناد عليها ،ومنها :كتاب "أمثال لأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري"،وكتاب "الأمثال لعبد الملك بن قريب الأصمعي" ،وكتاب" الأزهر لابن الأنبا ري"،وكتاب" أفعل من كذا لأبي علي البغدادي"،وكتاب "المجلة في الأمثال عن أبي عبيدة معمر بن المثنى"،وكتاب "الأمثال للمفضل الضبي"[11]

ومن الأمثال والحكم الأندلسية :(لو طلب لبن الطير في اشبيلية وجد)،(من غاب خاب وأكل نصيبه الأصحاب)،(أمدح البلدان وأسكن جيان)

،

ومن أشهر البلغاء والأدباء في الأندلس ابن عاصم الأندلسي الغرناطي ،ومن أمثاله وحكمه نجد:(زيادة الظلم خراب).(الخير عادة والصبر عبادة).(جازي الكريم بفعله وأترك اللئيم ولا تنظر إلى عمله).(ثوب خشن يسترك خير من ثوب حرير يفضحك).(حصل زادك ليوم معادك تبلغ مرادك).(زدناه قربا زادنا هربا)ز(إن لم ينفعك ألباز أنتف ريشه).(زيادة الشيء نقصان).

<u>الفرق بين المثل والحكمة:</u>

1- أن الحكمة عامة في الأقوال والأفعال، والمثل خاص بالأقوال.

2-أن الحكمة قد يقع فيها التشبيه وقد لا يقع والمثل وقع فيه التشبيه.

---

[10]حنا الفاخوري.ص،64.63

[11]ابن خير الأشبيلي.فهرسة ابن خير الأشبيلي.تحقيق:محمد فؤاد منصور ،دار الكتب العلمية .بيروت.لبنان،ط1 1.1998

3-أن المقصود من المثل الاحتجاج، ومن الحكمة التنبيه والإعلام والوعظ. ولا يبعد أن يقال بعد ذلك أن المثل هو من الحكمة فهي تعُمُهُ وتعم غيره. ومن هنا قرر الإمام أبو هلال العسكري صاحب كتاب (جمهرة الأمثال) "أن كل حكمة سائرة تسمى مثلاً".

4-أن المثل ينطلق من حاجة نفسية عميقة وهو أكثر شعبية من الحكمة وأعم وأشمل منها.

5-المثل يتسم بالعمومية ،أي يكون نتاج عامة الناس،بينما الحكمة في الغالب هي نتاج خاصة الناس،أي حكماء الناس وعقلائهم.

6-المثل يأخذ طابع المشافهة عادة،بينما الحكمة أغلبها مدون في الشعر والخطب ونحوها.

7-للمثل مورد ومضرب ،وأما الحكمة فهي خلاصة لتجربة إنسانية.